الغربة الموحشة

بقلم / عادل

الغربة الموحشة :

ماذا يسعدك في هذه الحياة الدنيا ؟ المال ، النساء ، الجاه ، الشهرة السلطة ، تشجيع الأخرين وتحفيزهم وتصفيقهم لك، إذا كنت جعلت سعادتك في هذه الأشياء ، فقد استودعت قلبك الأيدي التي ستخون وتغدر والشفاه التي تنافق وتتغير ..

وإذا جعلت من المال مصدر سعادتك، فقد جعلتها في ما لا يدوم، فالمال ينفذ والبورصة العالمية لدولارات لا تثبت على حال سهامها تصعد وتهبط ..

وإذا جعلت سعادتك في تشجيع الأخرين لك، فالأخرون يغيرون أراءهم في كل يوم، لقد وضعت كل رصيدك في بنك القلق وألقيت بنفسك إلى عالم الوحشة والغربة، واستضفت راحة بالك على الأرصفة، ونزلت في فنادق قطاع الطرق، ولن يهدأ لك بال ولن تعرف طعم الراحة، ولن تعرف أمنا ولا أمانا، ولن تتذوق الطمأنينة حتى أخر يوم في حياتك ..

لأنك أعطيت أثمن ما تملك، أعطيت فوأدك لعالم الفرقة والشتات، وعلقت قلبك بكل ما هو زائل متقلب، واسلمت وجدانك لينهشه وحش الوقت ..

الناس ما زالوا على حالهم لا يرى الواحد منهم أبعد من لحظته، ما زالوا على جاهليتهم الأولى يتدافعون بالمناكب على نفس الخسائس، بل هم اليوم اكثر نهما وأكثر تهالكا واكثر تهافتا على اللاشيء..

وإذا جعلت سعادتك في حب امرأة، فأين هي التي لا تتغير؟ وأين هو القلب الذي لا يتقلب، أين نجد هذا ! في الخيال ..

سبعون ألف نبي ، عبروا هذه الأرض وبلغوا أقوامهم نفس الشيء واعدو ورددوا نفس الكلمات ونفس الدروس على اقوامهم لتغير ما في أنفسهم، وفي النفس البشرية غاية الغايات، ومنتهى الأرباب ، وقبلة المقاصد، ومتعلق جميع المعارف، الله الحق بنورة وذاته ، الرحاب الأبهى وشيم الجنة ورفيق الملائكة ..

أقرب للواحد من نطقه فيكون إلى هذا المدى يستوى الرحمن على عرش سماواتنا الداخلية، ويكشف لنا انه أقرب إلينا من حبل الوريد ثم نتولى عنه معرضين نتدافع بالأكتاف ونتسابق خلف كل زائل وتافه، وهو جامع الكمالات على الإطلاق ..

الله أقام شريعته غيرة علينا وعلى ما أودع فينا من روحه ورحمته بنا حتى لا نضيع، والشيطان يحاول أن يحجب عنا هذا الثراء الداخلي حقدا وحسدا، على ما فضلنا الله به، ونحن نختار صحبة العدو على الصديق، ونستمع إلى العدو ولا نلتفت إلى الصديق، ونلازم العدو ونهجر الصديق، وما اكثر ما قتل الأقوام من أنبيائهم وأهل الغفلة من علمائهم، أصبح اليوم أشد جاهلية واعتى في ماديته من كل ما مضى من أعوام سابقة ..

لسنا بحاجة إلى التأمين على حياتنا في بنك خارجي ، فسند الضمان بداخلنا، لا داعي لكل هذا اللهاث المجنون على

الجمع لا داعي لكل هذا السباق والقتل والركض على السلطة، فلن نزداد بذلك قوة ولا تمكينا ..

اطمئن أيها المؤمن وأعرض عن هذه الغابة التي يتعارك فيها الكل بالمخالب والأنياب، ألزم عروتك، وأعمل على شاكلتك، فالصبيانية لا تليق بالعارف وخض البحر وأعبر أرض الغربة والوحشة، فلن تستوحش فلست وحدك الله معك، وأينما كنت فهو معك ، فأنت غني بما في داخلك ..

لا يكن مبلغ همك أن تحب هذه وتلك، إنما ليكن همك مجموعا على الله إلهك، محبوبا لك مطلقا ودائما وأبدا، وحسبك من المرأة التي تختارها المودة والرحمة وحسن المعاشرة، تعلق القلب لا يصح إلا لواحد إنما جعل عرش القلب ليستوي الرب عليه وحدة دون سواه، وبهو الملك حقا للملك وحدة ..

والله هو أغنى الشركاء عن الشرك، وحقا على من عرفه حق المعرفة ألا يعبد سواه سبحانه ، تقطعه فيصلك، تكفره فيرزقك، تعصيه فيغفر لك، تهجره فيتودد إليك وهو المتعال ذو الجلال والجمال، فأين هو من هذه وتلك، ألا يكفيك أن بابه مفتوح أبدا وعفوه مناد عليك دوما ..

ألا يثير فيك من الوجود مالا تثيره تلك الأشباح الترابية الفانية، ألا تعود وتنظر حولك ببصيرة، وتنظر في داخلك بإلهام، قبل أن يجرفك التيار إلى عالم الوحشة، وإلى بحور ولا تقوم إلا كالذي يتخبطه الشيطان من المس .